

حديقة التجارب: " توهم - سفر - حول العالم "

لقد كانت حديقة التجارب للحامة بالجزائر العاصمة التي تعتبر إحدى أهم حدائق الألفية في العالم، محل كتابات لكارل ماركس وأندريه جيد وألبير كامو وواك دريدا وتاريخها مرتبط بتاريخ الاستعمار على وجه التحديد فقد تم إضاع رسم إنشاء حديقة التجارب في 30 ديسمبر 1832 من طرف اللواء أنطوان أفيكار.

كانت الحديقة ممتدة على مساحة 5 هكتار تم تجريد ملكيتها من جزائري في المكان المسمى الحامة شرق الجزائر العاصمة. تم في البداية تصفية بعض الهكتارات من السبخات قصد تحويلها إلى أراضي فلاحية. كان الشغل الشاغل للمسؤولين في ذلك الوقت هو إنشاء حديقة تجريبية بإمكانها تعميم زراعة النباتات الأكثر نفعاً والتي يصلح لها مناخ وتربة إفريقيا. شاركت أعلى هيئات الدولة الفرنسية في المشروع وبعثت لحديقة التجارب الذي كانت تسمى في 1837 " المشتلة المركزية للحكومة " نباتات بكل الأشكال (بذور فسائل ..) والأنواع (أشجار، شجيرات، نباتات العلف ..) ومن كل أنحاء العالم (إفريقيا الاستوائية، آسيا، أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية، أستراليا ..). كان مطران الجزائر العاصمة يبعث ببذور من روما من أجل تجربتها في الحديقة. إلى جانب المنتجات النباتية والحيوانية كانت الصناعات التحويلية والدراسات التكنولوجية (الحرير، سكر القنب، كحول الدرن، زيت الزيتون ..) تشكل محورها. في التجارب. عرفت نظرية الألفية تهاقنا منقطع النظر. في تلك الفترة كانت الحديقة تنشط في كل مجالات الفلاحة والبستنة وصارت حديقة نباتية ذات شهرة عالمية. استطاع مديرها، أوغسط آردي، من إثراء مختلف التشكيلات بتجريب أقلمة هذه النباتات وفي 1867 أحصى 8214 صنفاً ونوعاً نصفها تقريباً من أصل استوائي وهذا ما أضفى على الحديقة بعداً دخلياً.

العهد الذهبي لحديقة الحامة

منذ ذلك الوقت، عرفت الحديقة توسيعات متعددة إلى أن بلغت مساحة 60 هكتار. " أمام هذا النوع النباتي الذي أتى من مناطق متعارضة وبعيدة من العالم، يتوهم بسهولة الزائر المنتبه في بضع ساعات من التجوال أنه قام بجولة حول العالم "، حسب شهادة شارل دوغالان. فأخذت حديقة التجارب تأخذ تدريجياً شكلها الحالي تحت إدارة أوغسط آردي الذي تم تعيينه مديراً في 1842 وهو شكل يشبه مربع بثلاثة محاور رئيسية كانت تقطع الحديقة من الشمال إلى الجنوب (ممر اللدب الذي أنشئ في 1845 وممر الأيدع والخيزران اللذان أنشئا في 1847 وممر اللين الذي أنشئ في 1864) وتحد القطاعات الكبرى (الحديقة الفرنسية، الحديقة الإنجليزية، المشتلة، الدفيئات).

في 1860، تم حفر البحيرة التي تتوسطها "المستحمة" للنحات جورج بيغ وهي إحدى التماثيل الرمزية التي تزين الممرات وصارت البحيرة مكاناً للفسحة والراحة وتمت أشغال تزيين من طرف المهندسين رينيه وغيون الفائزين بمسابقة و يعود إليهما الفضل في إنجاز منظور الحديقة الفرنسية الذي يمتد من المتحف الوطني للفنون الجميلة (الذي تم إنشاؤه في 1930) في شارع حسبية بن بوعلي على مساحة 7 هكتار. هنا أخذت الحديقة شكلها النهائي الذي نعرفه اليوم. " تم إنجاز منظور كبير متكئ على شرفة يصطف حولها نخيل باذخ وتتخلله مرايا مائتة ويصفي متحف الفنون الجميلة الذي يشرف على الموقع ويوجه نحو الأفق البحرية للكل طابعا كلاسيكياً وضخماً ومظفر قطعياً. " (1) بموازاة ذلك، تم إنشاء حديقة حيوانية في 1900 بمبادرة من الدكتور جوزيف دانج والتي أعيد تهيئتها في 1930 لكي تستقبل طيوراً برمايية وقردة وأسوداً وفهود وكذلك الدواجن.

سمحت تعليمات جديدة بإنشاء مدرسة البستنة والمدرسة المنزلية في 1918 بهدف إعداد مخبر فلاحى تتم فيه دراسة إنتاج وانتشار الأصناف النباتية النفعية.

صنّف التشريع الجزائري الحديقة في 1967 كمعلم طبيعي وأغلقت الحديقة أبوابها من 2001 إلى 2009 من أجل إجراء أشغال ترميمية.

نحو تصنيف عالمي للحديقة

تمّت إعادة تسمية الحديقة " الحديقة النباتية الحامة " في 2018. كشف لنا بحماس السيد عبد القادر بولحية، مدير الحديقة: " سيتمّ تصنيف الحديقة قريبا على المستوى العالمي كأحد أكبر الحدائق النباتية والحيوانية في العالم. لهذا الغرض، قمنا بتحضير ملفّ أقرّم خبراء دوليون في الحدائق النباتية منهم السيدة مايتي دلما من متحف التاريخ الطبيعي بباريس ونائبة رئيس جمعية الحدائق النباتية في فرنسا والبلدان المتحدّثة بالفرنسية والتي أقرّت بمطابقة الحديقة للمعايير التي تسمح بتصنيفها كحديقة عالمية."

من خلال هذا المسعى، تسترجع الحديقة مغزاهل الأصلي وهو أن تكون فضاء كبيرا لدراسة الحيوانات والنباتات تحت إشراف مجلس علمي وهذا ما سمح، حسب مديرها، من "إعادة الاعتبار لمدرسة البستنة من أجل إعادة بعث مهن البستاني والقاطف والمستنبت وكذا تكثيف تبادلاتنا وشركاتنا."

دليلة زياتي

المصادر

- (1) "حديقة التّسليّة بالحامة: تاريخ حديقة استعماريّة" - غانم لعربي وسفيان حجّاج
- (2) "حدائق الجزائر العاصمة" - كاترين روسي عن دار داليمان للنّشر
- (3) "حديقة التّجارب" - باب زمان

حديقة الحامة: الرّهان السياحي

حديقة الحامة فضاء للتّجوال والاكتشاف وقد استُعملت كديكور لفيلم "تارزان" في 1932 وبسبب الرّهان السياحي، ما زالت تجري فيه أشغال تزيين وأيضا أشغال ترميم التّمثيل والمنحوتات" والتي أوكلت لفنان يدّرس في مدرسة الفنون الجميلة، السيد بلخالفة" كملوّصّ لنا السيد بولحية الذي أضاف أنّ الحديقة التي تمتدّ على مساحة 30 هكتار صارت وجهة مميّزة ولا مفرّ منها للعديد من السوّاح فضلا عن الزوّار الجزائريين الذي بلغ عددهم حوالي 1,9 مليون زائرا في 2018 وهو رقم معبّر بخصوص حديقة أسطوريّة منذ قرابة القرنين.